١

سلسلة قصص الأنبياء

آدم عليه السلام

تأليف
الشيخ /بكر محمد إبراهيم

مكتبة زهران
١٥ شارع الشيخ محمد عبده
خلف الجامع الأزهر ت ٥١٠٩٨٨٧

رقم الإيداع ١٨١٩٠ / ٩٩

ترقيم دولي 977-5096-61-8

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبيه ورسوله محمد ﷺ وعلى آله وصحبه .

أشهد أن لا إله إلا الله هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم .

وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله رب العالمين .

وبعد :

فهذه سلسلة قصص الأنبياء للنشء وضعتها بأسلوب بسيط يلائم أبنائي الصغار .

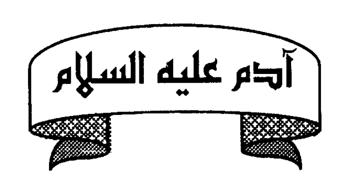
وفي قصص الأنبياء تتجلى العظة والعبرة والحكمة ومكارم الأخلاق فهم خير خلق الله وهم مصابيح الهدى يتحلون بالحكمة والصبر والصدق والمثابرة والصفح والعفو والكرم وغيرها من الصفات الحميدة والسجايا الكريمة .

نفع الله بها براعم الإيمان وشباب الغد وأمل المستقبل وجعلها في ميزان حسناتنا وحسناتهم وأثاب من نشر هذه الرسالة وأخرجها للنور وأسأله تعالى أن يتقبلها وينفع بها .

ولله الحمد والمنة وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المؤلف





آدم عليه السلام

قبل الخلق والخليقة .. قبل وجود الأشياء والبشر منذ أزمنة سحيقة (بعيدة) .. لم يكن في الوجود سوى الله تعالى الأول والآخر والظاهر والباطن . فهو سبحانه قبل كل شيء وبعد كل شيء وهو الظاهر الذي دل على نفسه بما بث في فطر الخلق من دلائل وجوده ووحدانيته وقدرته وبما خلق من عوالم وأكوان تدل على وجوده وعظمته .

أراد الله سبحانه أن يخلق الخلق ، قال تعالى : ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾**﴾.

[الذاريات : ٥٦ - ٥٨].

وخلق الله سبحانه خلقًا قبل الإنسان منهم الجن والملائكة ، وقدر سبحانه وتعالى أن يوجد الناس في الأرض عليها يعيشون وفيها يموتون ومنها يخرجون

وأرسل سبحانه ملكًا من الملائكة وأمره أن يقبض قبضة من طينة الأرض بكل عناصرها وأنواعها وألوانها .. ثم صب الله تعالى عليها الماء فتحول التراب إلى طين ثم إلى حمأ مسنون



(أي طين متعفن) ثم إلى صلصال كالفخار (عندما يبس الطين) ثم ألقى جسده على باب الجنة أربعين سنة حتى يعاينه الملائكة والجن(حتى يروه بأعينهم) .

وكان إبليس يضرب بيده على جسد آدم فيسمع صلصلة ثم يدخل من فيه[1] ويخرج من دبره ويقول إن هذا خلق أجوف ضعيف ولئن سلطني الله عليه لأهلكنه ولأن كرمه عليَّ فلن أطيعه .

استشعر إبليس في نفسه العجب والغرور أي كان معجبًا بنفسه يريد أن يعلو على الجميع . حسد آدم وحقد عليه بمجرد أن رأى جسده على باب الجنة وخشى أن يفضله الله تعالى عليه .

ونفخ الله تعالى في هذه الصورة البشرية الإنسانية التي سواها في أحسن تقويم نفخ فيها نفخة الحياة وبث فيها الروح فاهتزت وسرت في كيانها نسمة الحياة بعد أن كانت كالتمثال الجامد وقال لها كوني آدم . . فكانت .

***

(١) فيه : فمه

.. من هنا بدأت قصة الإنسان أبى البشر آدم عليه السلام .

وكان الخالق سبحانه وتعالى .. قد وضع قوانين الحياة وأسماء الأشياء .

ومن ذلك قوانين العلم والمعرفة والاستمرارية بالتناسل والتكاثر .. وعلم آدم الأسماء ووضعه على عتبة المعرفة.. ثم طلب من الملائكة أن ينبئوه بها ﴿ **فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [البقرة : ٣١] .

فقالوا : ﴿**سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيم** ﴾ [البقرة :٣٢] .

أي تقدست يا ربنا وتنزهت عن كل نقص وأنت المتصف بصفات الكمال وأنت العليم فلا علم لنا إلا ما علمتنا إياه إنك أنت العليم بكل شيء تفعل الأشياء بحكمة ولا تخلق الأشياء عبثًا وسدى . فأمر الله تعالى آدم أن يخبرهم فأخبرهم بأسماء الأشياء واستعمالاتها .

❋ ❋ ❋



السجود

ثم أمر الله سبحانه ملائكته أن يسجدوا لآدم طاعة لله وإظهارًا لخضوعهم وتسليمهم لأمر الله وتكريمًا لهذا المخلوق الجديد الذي كرمه الله وأعلى شأنه ، فسجدوا امتثالاً لأمر الله تعالى وتسليمًا له وإقرارًا لآدم بالكرامة وفضل العلم وشرف المنزلة لتكريم الله تعالى له . أما إبليس الذي كان من الجن وشمله الأمر لأنه كان يعيش مع الملائكة فأبى واستكبر وكان من الكافرين لأنه فسق عن أمر ربه أي عصى ورفض الأمر بالسجود تكبرًا وحسدًا لآدم فصار شيطانًا رجيمًا[1] (مرجومًا) ملعونًا مطرودًا من رحمة الله تعالى. . وسأله الله تعالى عن سبب عصيانه ورفضه وهو أعلم به فقال: ﴿ **أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ** ﴾ [الأعراف : ١٢] . وظن إبليس أنه يعرف الخيرية والمفاضلة بين العناصر والأشياء جهلاً وغرورًا . . فأخرجه الله من رحمته ، وطرده من الجنة . . ﴿ **قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ** ﴾ [الحجر :٣٤] . ﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾ [ص : ٧٨] . ويقول تعالى في سورة البقرة:﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ**

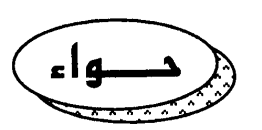
(١) الرجم فى اللغة : القذف بالحجارة

الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ(١) الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

[البقرة : ٣٤ - ٣٥] .

وطلب إبليس من الله تعالى أن ينظره (يمهله) إلى يوم البعث ، ولا يقضى عليه . .

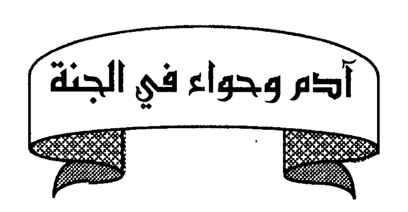
كما أعلن بين يدي الله تعالى أنه سيكون عدوًا مبينًا لآدم وذريته ؛ يضله ويغويه ويزين له المعصية . . فأنظره(٢) سبحانه قائلاً: ﴿ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص: ٨٤ - ٨٥].



حـــواء

واستيقظ آدم من رقدة رقدها فإذا بجانبه « حواء » أنثى جميلة من جنسه فسر بها أشد سرور . . وسألها : من أنت ؟ فقالت : أنا حواء خلقت منك ، وأنا زوجتك ، وأنا امرأتك ، فحادثها وحادثته ، وارتاح كل منهما إلى الآخر وأنس بها وسعد بلقاءها والعيش معها .

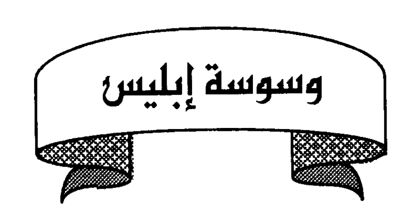
(١) الزوج فى اللغة : تطلق على الرجل وعلى المرأة وهى أفصح من كلمة زوجة .
(٢) أنظره : أمهله



لقد من الله تعالى على عبده آدم وزوجه فأسكنهما الجنة قال تعالى : ﴿ **وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا** ﴾ [البقرة : ٣٥] . وفي الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيها النعيم والسرور والراحة والسعادة والطعام والشراب واللباس ورغد العيش ولذته .

غير أن الله تعالى نهاهما عن الاقتراب من شجرة بعينها عينها لهما قال تعالى : ﴿ **وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [البقرة :٣٥] وهذه الشجرة رمز للتكليف وليس المقصود منها حرمان آدم وحواء منها ولكن الله تعالى كان يدرب آدم وزوجه على الطاعة وتحمل تبعات التكليف فالإنسان مخلوق مكلف أمر بتكاليف وأفعال وأقوال وعبادات وخلق ليعيش على الأرض ويتعامل مع أفراد جنسه طبقًا لشريعة الله يأتمر بأوامر الله وينتهي عما عنه نهاه .


***



وعاش آدم وحواء في الجنة ما قدر الله لهما أن يعيشا ، يروحان فيها ويأكلان من ثمارها ، ويشربان من شرابها ومياهها الجارية . . ويستمتعان بنعيمها . .

وبينا هما في تجوالهما . . وصلا قريبًا من الشجرة التي حرمها الله تعالى عليهما ونهاهما ليس فقط عن الأكل منها ولكن عن الاقتراب منها وهكذا يجب أن يتعامل الإنسان مع حرمات الله لا يتناولها ولا يقترب منها لئلا يقع في المحذور ويفعل ما نهى عنه فإذا بإبليس اللعين وقد استطاع أن يدخل الجنة مختبئًا في الحية وكان هنا الأمر قد قدره الله سبحانه وتعالى ، فإذا بإبليس يوسوس لهما ، ويزين لهما المعصية فيغريهما بالأكل من الشجرة فترددا أولاً ، وحاولا الهروب والابتعاد ، لكن إبليس كرر المحاولة مستخدمًا كل وسائل الإثارة والإغراء . . . فقال : إن ربكما نهاكما عنها لأنها شجرة الخلد والملك الذي لا يبلى أي لا يزول ولا يفنى ، ووقعا في المعصية فأكلا . لكنهما انكشفا وطارت عنهما ملابس الجنة وبدت عوراتهما وأحسا بسوء فعلتهما واستحييا من عوراتهما فأخذا يغطيانها بورق الأشجار . ﴿ **وَطَفِقَا**

يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾ .[الأعراف : ٢٢].

اقرأ قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [البقرة :٣٦] .

وقوله تعالى في سورة طه : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه: ١١٥-١٢٤] .

تأمل في هذه الآيات تعلم أن الله تعالى عهد إلى آدم أي أخذ عليه العهد والمواثيق ألا يقرب من هذه الشجرة وأن يتخذ الشيطان عدوًا بعد أن جاهر الشيطان بعداوته له ورفض امتثال أمر الله بالسجود له وقال أنا خير منه ، فالعدو لا يبغي الخير لعدوه وإنما يريد أن يوقعه في الهلاك فنسى آدم هذا العهد

وهذا التحذير .

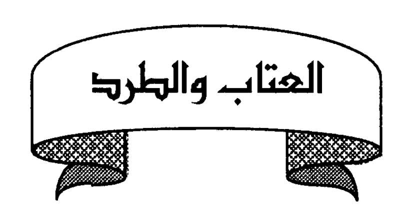
وقد كفل الله تعالى لآدم في الجنة ألا يجوع ولا يعرى ولا يظمأ ولا يتلف جسده حرارة الشمس أي كفل له الأمن الخارجي والداخلي الأمن الظاهر والأمن الباطن فلا يحتاج لشيء آخر . ولما أطاع آدم وزوجه عدوهما الشيطان انكشفت عورتهما وهكذا المعصية تؤدي إلى انفضاح الإنسان وكشف عورته وهتك[١] ستره وزعزعة أمنه واستقراره .

ثم تداركه ربه برحمته وألهمه التوبة وقبلها منه ، ولكن شؤم المعصية أدى إلى خروج آدم وزوجه حواء من الجنة ، ثم أعلم الله تعالى آدم بما يؤول إليه مصيره ومصير أبنائه من بعده ومصير إبليس وذريته ، وأخبره أنه سينزل عليه وعلى ذريته منهجه وتشريعه فمن اتبع هدى الله وتمسك بطاعته وتقواه فلا يضل ولا يشقى وإنما يهتدي ويسعد ، ومن يعرض وينصرف عن منهج الله وذكره فإن له معيشة ضنكا[٢] في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة في الدنيا بضيق المعيشة أو بالحزن والاكتئاب والخصومة مع النفس والإحساس بالوحشة والغربة بسبب عصيان الخالق سبحانه وفي البرزخ الذي يكون بين الدنيا والآخرة بترقب العذاب ورؤيته وفي الآخرة بدخول النار والحشر وهو فاقد البصر جزاء نسيانه أمر الله وغفلته عن ذكره سبحانه وتعالى .

---

(١) هتك الستر : الفضيحة .

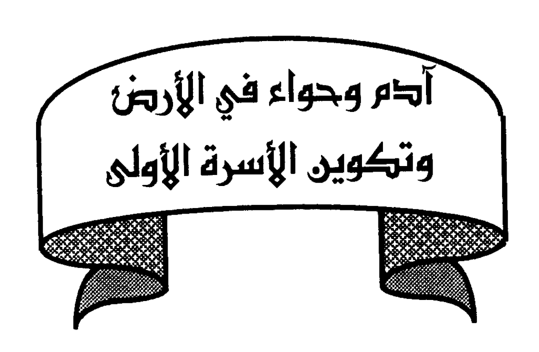
(٢) الضنك : الشدة والضيق ، وقد تكون معنوية نفسية .



عاتب الله تعالى آدم وحواء عتابًا قاسيًا على ما فعلا من معصيته ، وما اقترفا من خطيئة ، وما انتهكا من حرمة مخالفة أمره سبحانه وتعالى . . فأخذ آدم يتلطف ويعتذر إلى الله تعالى، معلنًا توبته وندمه ، واستغفاره لذنبه وغوايته فتاب الله عليه وهدى وغفر له ، ولكنه أمره وزوجه بالخروج من الجنة إلى الأرض ، حيث تكون له ولذريته مستقرًا إلى حين ، إلى يوم القيامة ، وميدانًا يصارعون فيه إبليس ويصارعهم بعد أن كان سببًا في خروجهما من الجنة وطردهما من النعيم ، يكابدون شقاء الحياة وأهوالها ويباشرون مسئولية الخلافة في الأرض هما وذرياتهما ، ويواجهون الشيطان وجنده ، فمن عصى الشيطان وقهره عاد إلى الجنة ، ومن أطاعه وتبعه تردى في نار جهنم وبئس القرار .

* * *





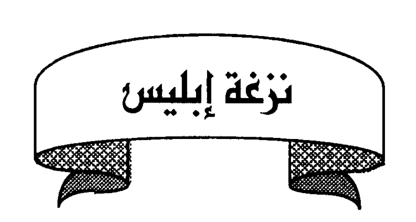
وفي الأرض أحس آدم وحواء بالجوع والعطش والبرد والحر والخوف والتعب ، فسعيا لصنع الطعام وتوفير الشراب وصناعة اللباس وبناء المنزل حتى ينعما بالدفء والشبع والري ولذة الرقاد.

ففي الدنيا لابد من الجهد والمثابرة والشقاء والتحمل والصبر والسعي ومواجهة الأعباء والمسئوليات والأعداء .

وبعد مدة من الزمن وضعت حواء حملها فكان توأمًا، ذكر وأنثى فرح بهما أبواهما ، وأسبغا عليهما الحنان والعطف والرعاية ولم تمض سنة حتى كانت حواء تستعد أيضًا لوضع حمل جديد.

وكان أيضًا ذكرًا وأنثى ، وها هي الأعباء الجسام تشتد على آدم وتزيد ، لقد كان عليه أن يوفر لأسرته أسباب الحياة من غذاء وكسوة وسكن ، وفوق ذلك العطف والمودة والحنان ، والتربية وتعليم المنهج الإلهي لأبنائه وتعليمهم قواعد السلوك والمعاملة .





كان إبليس يترصد لآدم ويرقبه ويتحين الفرصة لإضلال بنيه وصرفهم عن طاعة الله ، ويسلك بهم مسالك الشر والفتنة والغواية وكان آدم قد سمى بكره الذكر قابيل وسمى ابنه الثاني هابيل .

ومع مر السنين كبر الأطفال ، واشتد عودهم ، وشبوا ، وصاروا قادرين على ممارسة الأعمال وتأمين ضروريات الحياة .

وأما البنتان فكانت ملامح الأنوثة تبدو ظاهرة عليهما تضفي عليهما مظاهر الضعف والجاذبية .

وكان قابيل وهابيل يتنافسان على إرضائهما وكسب مودتهما، كانت الفتاة البكر التي ولدت توأمًا لـ (قابيل) أجمل من أختها توأم هابيل ، وقد بلغت مرحلة الشباب والنضج فكانت تميل قلبها وعواطفها إلى هابيل وهو يبادلها حبًا بحب ، وكان ذلك إلهامًا من الله تعالى وحكمة منه سبحانه وتعالى .

وكم حاول قابيل أن يشدها إليه أو يمتلك زمام عواطفها ، أو

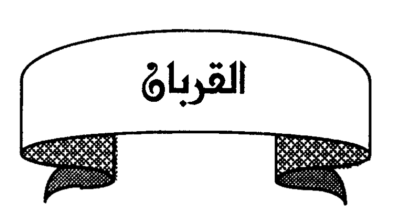


يستأثر بقلبها ، لكنها لم تكن تبادله شعوره .

وأخذ الشيطان « إبليس » يبذر بذور الحقد والحسد في نفس قابيل ، فكما أتعس آدم وأشقاه بالخروج من الجنة ، وأغواه بعصيان أمر الله من قبل كذلك اليوم يفعل لأنه لا يريد لآدم وذريته أن يتنعموا بالرضى والرضوان ، ولم ينس إبليس عداوته الأزلية لآدم يوم أمر بالسجود فأبى واستكبر ثم حرم من رحمة الله .

وقد سنحت له الفرصة ثم بدت البغضاء على لسان «قابيل » وتصرفاته بنفخة من الشيطان ، وأخذ يمعن في العداوة لأخيه .





وطلب آدم من ولديه أن يقدم كل منهما قربانًا إلى الله تعالى وكان ذلك في شرعه وليقطع أسباب الفتنة والخلاف بين ولديه ، ويردهما إلى الله تعالى ، فمن قبل قربانه دل ذلك على أنه موافق لشرع الله وأنه على الحق والصواب .

وكان قابيل مزارعًا ، فجمع حزمة من القمح ووضعها على باب بيته .

أما هابيل فقدم كبشًا أقرن أملح .

ومع ظهور الفجر نزلت نار من السماء وارتفعت بقربان هابيل فقد وقع قربانه موقع الرضى والقبول ، أما قربان قابيل فقد ذبل وذوى ورد عليه فلم يقبل منه .

إن الله تعالى يتقبل من المتقين ، والتقوى هي طاعة الله والتزام أوامره واجتناب نواهيه خوفًا منه سبحانه وحبًا له ولطاعته .

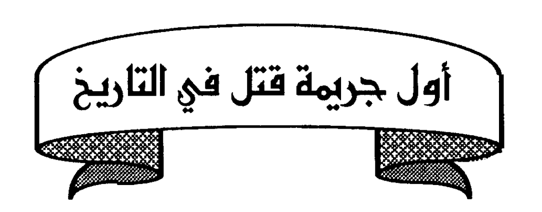
وكان إبليس يترقب ما يحدث ويدبر ليرسخ العداوة والبغضاء بين بني آدم ، فأجج نار الحقد والعداوة في قلب « قابيل » فأضمر

الشـر ونوى الغدر ، ولقـد وسوس له إبليس أن أخـاه هابيل هو العقبـة التي تقف في طريقه وتحول دون وصوله إلـى جسد وقلب من يحب ويهوى . ويستأثر دونه بحب أبويه آدم وحواء فلابد من إزاحته والتخلص منه .

وأخذ قابيل يـهدد أخاه ، وكان رد هابيل على تهـديد أخيه **﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾** [المائدة :٢٨] .

ثم أضاف محذرًا ومبينًا لأخيه سوء عاقبة نيته : **﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾** [المائدة : ٢٩] .





أول جريمة قتل في التاريخ

لكن الشيطان كان قد استحكم في نفس قابيل وعشش في قلبه فأصم أذنيه عن السمع ، وغشي عينيه عن رؤية الحق ، وأعماه عن تدبر عاقبة ما ينوي فعله .

ترقب قابيل ساعة نوم هابيل وقت القيلولة وألقى على رأسه صخرة عظيمة حطمت رأسه وشلت جسده وتركه قتيلاً لا حراك فيه مجرد جثة غارقة في الدماء ، ووقف ينظر ما قدمت يداه ، فاضطربت نفسه وهاج فؤاده ، وشعر بفقدان الأخ والعضد ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة : ٣٠] ووقع في شباك الأسى والحزن ، والحيرة والتردد ، فقعد على صخرة وقد أثقلته الهموم، ولم تقدر قدماه على حمله وعلى قيد خطوات لفت نظره غراب يحفر في الأرض بمنقاره ومخالبه حتى حفر حفرة أودعها طائرًا ميتًا ، ثم أهال عليه التراب، وطار في الجو محلقًا ، وكان الغراب يفعل ذلك بوحي من الله تعالى ليعلم قابيل كيف يواري سوأة[1] أخيه وشدت عينى قابيل إلى الغراب وعمله . . فلما رأى

(١) جثة أخيه والسوأة العورة لأن مرآها يسوء الرائى .

ما رأى قال متحسرًا ﴿ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ .

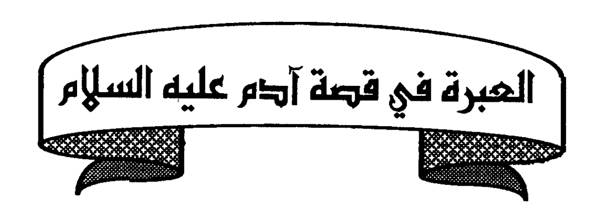
[المائدة : ٣١] .

لقد سفك الدم الإنساني على مذبح الشهوة والهوى وأطاع الشيطان وعصى الرحمن .

ومضت السنون بآدم عليه السلام وحواء وعاشا ما قُدر لهما وكان عمر آدم ألف سنة ، وكثر نسلهما ، وكبرت مسئوليتهما تجاه تنظيم العلاقة بين الأبناء وحملهم على شريعة الله طبقًا لما يوحى إلى آدم من عند الله . حتى أدرك آدم وحواء الهرم[1] وأحس بدنو أجله فوصى لأحد أبنائه « شيثًا » عليه السلام بالقيام بالأمر بعده حسب أمر الله تعالى له .



(١) الهرَم : أرذل العمر ، أى : العمر الطويل .



١- إن الله تعالى قد يحجب (يخفي) سر حكمته عن أقرب خلقه إليه كما حجب حكمة استخلاف آدم في الأرض عن الملائكة حتى تحيروا واشتاقوا إلى معرفة الحكمة من هذا الاختيار.

٢- أن عناية الله تعالى إذا وجهت إلى الشيء الحقير خلعت عليه حلل البهاء والجلال وصيرته (حولته) عظيمًا . كما توجهت عنايته سبحانه وتعالى إلى التراب الذي خلق فيه آدم فصيرته بشرًا سويًا وجعلته مظهرًا لأسرار قدرته وحكمته تعالى وعلمه الواسع فأفاض عليه من العلم والمعرفة ما أقر الملائكة بالعجز عن إدراكه .

٣- أن الإنسان مهما أوتي من الكرامة والإجلال ففي طبعه الضعف فهو عرضة لأن ينسى ويأتي ما لا يتفق مع إجلال الله له كما في نسيان آدم وصية الله تعالى فأطاع إبليس الذي هو أعدى أعدائه وأصغى إليه وأكل من الشجرة التي نهي عن الأكل منها .

٤- أن رحمة الله تعالى لا ييأس منها من عصاه وخالف أمره فإن آدم قد تاب الله عليه واجتباه (اختاره وقربه) مع ما فرط فيه من النسيان ومخالفة وصية الله ، فعلى العبد إذا فعل المعصية أن يلجأ إلى الله بالندم والاستغفار عن الذنب كما قال

تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ .

الدليل على نبوة آدم عليه السلام

إن القرآن الكريم لم يذكر لفظ النبوة بإزاء آدم كما ذكر ذلك بإزاء غيره من الأنبياء كإسماعيل وإبراهيم وموسى وعيسى ،ولكن ذكر أن الله خاطبه بلا واسطة وشرع له في ذلك الخطاب فأمره ونهاه وأحل له وحرم عليه بدون أن يرسل إليه رسولاً وهذا هو كل معاني النبوة .

كيف عصى آدم أمر ربه على أنه نبي ؟

الجواب على ذلك من وجوه (طرق متعددة) :

١- أن يكون ذلك منه على سبيل النسيان ، والنسيان خطيئة في حقه لعلو شأنه لأنه ليس كأحد من الناس .

٢- أنه تأول فيما فعل (أي لم يكن يقصد العصيان) إذ فهم أن الأمر والنهي ليسا جازمين (مؤكدين) بحيث يترتب على المخالفة الغضب والمجازاة بل فهمه أمر إرشاد ونهي، إرشاد مثل كتابة الدين فالأمر به أمر إرشاد ومن تركه لا يؤاخذ .

٣- أن ذلك حدث قبل النبوة إذا كانت نبوته بدأت من نزوله الأرض .

٤- أن آدم تأول في أكله من الشجرة (أي فهم الأمر على غيره حقيقته) إذ أكل من شجرة من جنس ما نهي عنها ، وظن أن النهي يخص عين الشجرة (أي هي بذاتها) وليس جنسها .



عداوة إبليس لآدم وذريته

عداوة إبليس وذريته ثابتة كما هو مشاهد ملموس وكما أخبرت بذلك السنة النبوية في كثير من الأحاديث وكما أخبر بذلك القرآن الكريم .

يقول تعالى في شأن عداوة إبليس لآدم في سورة البقرة : ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [البقرة : ٣٦] . وفي سورة الأعراف : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ الآية [الأعراف : ٢٠ - ٢٢] . وفي سورة طه : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾﴾ [طه : ١١٥ - ١١٦] .

تنبيه إلى عداوة الشيطان لك ولأبيك آدم عليه السلام ، واعلم أن المعصية تجلب غضب الله وتكشف ستر الإنسان وتفضحه وتكشف عورته ، وتجلب له الحزن والتعاسة والحزن والشقاء. إذا أخطأت فبادر بالندم والتوبة .